تعقيب
حول مقال الدكتور العثيمين

للاستاذ: صالح محمّد الحسَن

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين •

سعادة الاستاذ محمد حسين زيدان رئيس تحرير الدارة • حفظه الله •

فقد اطلعت في مجلة الدارة في عددها الثالث من السنة الرابعة على مقال بعنوان : نجد منذ القرن العاشر الهجري ، حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بقلم الدكتور : عبد الله العثيمين •

ولقد اعجبت بالمقال ، وموضوعه الشائق ، ومنهجه التحليلي : لبعض الحوادث والاخبار •

ومع ذلك فان لي عليه ملاحظة أرجو من سعادة الدكتور ان يتقبلها بصدر رحب ، وله مني جزيل الشكر ، وموفوره •

وفي بداية حديثي أقول : ان دور المؤرخ المسلم في بناء الامة : يتمثل في عرض حقائق التاريخ الاسلامي عرضا تاريخيا تربويا ، يؤدي دوره في بناء الامة الاسلامية ، كما يتمثل في تنقية التاريخ الاسلامي ، مما دس فيه من روايات ، واخبار كاذبة ، هدفها تشويه التاريخ الاسلامي ، والنيل من المسلمين ، وخدمة اغراض طائفية أو مذهبية •

ومن هذا المنطلق أقول : اننى لا اجد مبررا لمن يشتغلون بالتاريخ من ابناء المسلمين : أن يعمدوا الى فلسفة ، وتحليل بعض الحوادث ، والاخبار ليشككوا فى بعض الحقائق التى تؤدى دورها فى بناء الامة الاسلامية ·

وهذا ما حدث لسعادة الدكتور ، وذلك حينما بحث الناحية العقيدية في ذلك الزمن – موضـوع بحثه – حيث انهى سعـادة الدكتور تحليله لتلك الناحية بالقول : بعن هناك – أى في نجد – جهله يمارسون اعمالا شركية ، لكن عدد هؤلاء – والحديث للدكتور – كان فيما يظهر قليلا ·

وهذه النتيجة – وهى ملاحظتى على المقال – تشكيك في الدور الذى قام به الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، من محاربة مظاهر الشرك بالله ، والعودة بالامة الى الكتاب ، والسنة : عقيدة ، وسلوكا ، ومنهاج حياة ·

وهذه النتيجة تظهر الشيخ : بأنه كان مجرد زعيم ، أحب الزعامة ، وعمل لتحقيق هذه الرغبة ، وان ما قام به من جهاد مسلح لنجد ، وماحولها لم يكن لاعلاء كلمة الله ، بل لم يكن مشروعا ، لان الناس قد سلكوا منهج الله في العقيدة ، والسلوك ، الا النذر اليسير منهم ·

كما ان هذه النتيجة تشككنا : فيما نقله الثقات لنا من أخبار ذلك الوقت ، وحوادثه ، بل تشكك فى كل ما نقله اتباع مصلح عن امامهم ·

واود أن أذكر سعادة الدكتور : أن ما شكك به من اخبار – أهل زمان الشيخ ، وما هم عليه ·· ليس هو راى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ حسين ابن غنام ، والمؤرخ عثمان بن بشر – وكفى بهم حجة – ، وانما هو رأى جميع الكتاب ، والمؤرخين – الذين كتبوا عن تاريخ الشيخ وما قام به من أعمال ، وتضحيات ، سواء – منهم – المعاصر للشيخ – رحمه الله – أو المتأخر عنه ·

واليك ، والى القارىء الكريم بعض اخبار هؤلاء الثقات : –

يقول الشيخ عبد الله بن عيسى قاضى الدرعية – وهو من المعاصرين للشيخ - في رسالة له : فالله الله عباد الله : لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا اله الا الله ، وتلطخ بالشرك – وهو لا يشعر ، فقد مضى أكثر حياتى ، ولم أعرف من انواعه ما أعرفه اليوم – فلله الحمد على ماعلمنا من دينه –

ولا يهولنكم ـ اليوم ـ أن هذا الامر غريب · فان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال : بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، واعتبروا بدعاء أبينا ابراهيم ـ عليه السلام ، بقوله في دعائه : (واجنبني بني أن نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس) ·

ولولا ضيق الكراسة ، وان الشيخ محمد (يعنى محمد بن عبد الوهاب) اجاد ، وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها ـ : لاطلنا الكلام ·

وأما الاتحادى بن عربى صاحب الفصوص ، المخالف للنصوص ، وابن الفارض ، الذى لدين الله محارب ، وبالباطل للحق معارض· فمن تمذهب بمذهبهما : فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا ، وانتحل طريق المغضوب عليهم ، والضالين ، المخالفين لشريعة سيد المرسلين ··· وقد كفرهما كثير من العلماء العاملين ··· فان لم يتب الى الله من انتحل مذهبهما : وجب هجره ، وعزله عن الولاية ان كان ذا ولاية من امامة ، أو غيرها ،فان صلاته غير صحيحة · لا لنفسه ولا لغيره ·

فان قال جاهل : أرى عبد الله (يعنى نفسه) توه يتكلم في هذا الامر : فليعلم أنه انما تبين لى الان : وجوب الجهاد في ذلك على ، وعلى غيرى ، لقوله تعالى : « وجاهدو في الله جهاده » الى ان قال : (ملة ابيكم ابراهيم) وصلى الله على محمد وآله وسلم ·

هذا ماقاله احد معاصرى الشيخ ، وهو يثبت فيه وجود الشرك ـ في نجد ـ حينذاك ، ووجود من ينتحل مذهب ابن عربي ، وابن الفارض ، ـ القائلين بوحدة الوجود ـ في هذه البلاد النجدية · (١١)

ويقول الامام عبد العزيز محمد بن سعود ـ وهو من المعاصرين للشيخ ـ رحمه الله ـ : فلما من الله علينا بمعرفة ذلك (اي معنى شهادة ان لا الله الا الله) ، وعرفنا أنه دين الرسل : اتبعناه ، ودعونا الناس اليه، والا فنحن قبل ذلك : على ما عليه غالب الناس ، من الشرك با الله ، من عبادة اهل القبور ، والاستغاثة بهم ، والتقرب الى الله بالذبح لهم ، وطلب الحاجات منهم ··· الى ان قال : فحين كشف لنا الامر ، وعرفنا مانحن عليه ، من الشرك ، والكفر · با لنصوص القاطعة ، والادلة الساطعة : من كتاب الله ، وسنة رسله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الائمة الاعلام

ـ الذين أجمعت الامة على درايتهم : عرفنا أن ما نحن عليه ، وما كنا ندين بهـ اولا ـ أنه الشرك الاكبر الذى نهى الله عنه ، وحذر (١٢) · انتهى ·

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حالة النآس قبل هذا الدين : اكثرهم حالة ، كحالة اهل الجاهلية الاولى ، وكل قوم لهم عادة ، وطريقة ـ استمروا عليها ـ تخالف احكام الشرع ، في المواريث ، والدماء ، والديات ، وغير ذلك ، ويفعلون ذلك مستحلين له · (١٣)

ويقول الشيخ عد الرحمن بن حسن آل الشيخ : اعلم ياأخى ـ وفقنى الله ، واياك للصواب ـ ان أهل نجد ـ في باديتهم ، وحاضرهم ـ قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، قد اشتدت غربة الاسلام فيما بينهم ، واستحكمت ، وعم الشرك ، وطم ، وفشا الشرك ، وشاع الكفر ، وذاع في القرى ، والامصار ، والبادية والحضار · وصارت عبادة الطواغيت ، والاوثان : دينا يدينون به ، ويعتقدون في الاولياء انهم ينفعون ، ويضرون ، وأنهم يعلمون الغيب ، مع تضييع الصلاة ، وترك الزكاة وارتكاب المحرمات · (١٤)

ويقول الامام الشوكانى ـ في وصف نجد ، وغيرها ممن دخل تحت طاعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : وبالجملة : فكانوا جاهلية جهلاء ـ كما تواترت بذلك الاخبار ـ ، ثم صاروا ـ الآن ـ يصلون الصلاوات لاوقاتها ، ويأتون بسائر الاركان الاسلامية على أبلغ صفاتها · (٥)

ويقول ـ ايضا ـ في وصف نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية ، وصار الاسلام فيها غريبا · (٦)

وبعد نصوص ـ هؤلاء الثقات ـ الذين عاصروا الشيخ محمد بن عبد الوهاب : نورد بعض النصوص : لعلماء ، ومؤرخين ، ومستشرقين : كتبوا عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في نجد ، ممن كتبوا في العصر الحاضر : ـ

يقول امين الريحانى ـ في وصف الحالة في نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : قبل ظهور هذا المصلح النجدى : كان العرب ـ في نجد ـ ، بل في الشطر الشرقى من شبه الجزيرة : منغمسين في عقائد ، وعبادات ، جاءتهم من النجف ، ومن الاهواز ٠٠ ، فكان لا يزال لاباحة القرامطة اثر في الاحساء ، وكان للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها ، فأحلها الناس المحل الاعلى في العبادة . والتوسل ٠ والحق يقال : أن هذه البدع ، أو هذه الخرافات القديمة : أبعدت العرب ـ بادية ، وحاضرة ـ : عن حقيقة الدين ٠٠٠ ، ابعدتهم عن الاسلام الذى جاء يبطل عبادة الاوثان ، وكل مافيه رائحة العبودية لغير الله ٠٠٠ الى آخر كلامه في هذا الموضوع ٠ (٧) ٠

ويقول الدكتور طه حسين : أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد: ماكانوا قد عادوا اليه من جاهلية في العقيدة ، والسيرة ٠ (٨)

ويقول المستشرق كارل بروكلمان ـ رغم تعصبه ، ودسه على الاسلام ـ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : ثم انه درس مؤلفات احمد بن تيمية ـ الذى كان قد أحيا في القرن الرابع عشر : تعاليم ابن حنبل ، والواقع أن دراسته لآراء هذين الامامين : انتهت به الى الايقان من أن الاسلام ـ في شكله السائد في عصره ـ ، وبخاصة بين الاتراك : مشرب بالمساوىء ، التى لاتمت الى الدين الصحيح بنسب ٠ فلما آب الى بلده الاول سعى اول ماسعى : الى ان يعيد الى العقيدة ، والحياة الاسلاميتين : صفاءهما الاصلي في محيط الضيق ٠ (٩)

ويقول المستشرق ستودارد ـ في كتابه : حاضر العالم الاسلامى ـ في حديثه عن واقع العالم الاسلامى قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : وأما الدين : فقد غشيته غاشية سوداء ، فالبست الوحدانية ـ التى علمها صاحب الرسالة الناس ـ سحبا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من ارباب الصلاوات ، وكثر عدد الادعياء،الجهلاء وطوائف الفقراء ، والمساكين : يحملون في اعناقهم التمائم ، والتعاويذ ، والسبحات، ويوهمن الناس بالباطل ، والشبهات ، ويرغبونهم في الحج الى قبور

الاولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور .... ، وانتشرت الرذائل ، وهتكت ستر الحرمات – على غير خشية ، ولا استيحاء.

وفيما العالم الاسلامى مستغرق في هجعته ، ومدلج في ظلمته : اذا بصوت يدوى في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية – مهد الاسلام – يوقظ المؤمنين ، ويدعوهم الى الاصلاح ، والى سواء السبيل ، والصراط المستقيم فكان الصارخ هذا الصوت : انما هو المصلح المشهور ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب . (١٠)

والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدا ، ولا اخالها تخفى على سعادة الدكتور ، ولولا خشية الاطالة : لاوردت المزيد منها .

وفيما اوردته من النصوص دلالة واضحة ، صريحة : على ان الحالة في نجد – من الناحية العقيدية ، والسلوكية – قبيل دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى . قد بلغت مبلغا سيئا ، يوجب على المسلم الحق : الجهاد – بكل انواعه – ، لاخراج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الشرك الى التوحيد ، ومن الفرقة الى الاجتماع ، ومن الخوف الى الامن . وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى

وان نظرة صادقة مخلصة الى واقع كثير من البلاد العربية ، والاسلامية – التى لم تتأثر تأثرا مباشرا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – ، وما فيها من البدع ، والخرافات ، والامور الشركية – المنتشرة اليوم – رغم الدعوات الاصلاحية ، المتعددة ، والتى لم تصل الى مستوى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ان هذه النظرة : لتعطينا اكبر الادلة على الدور العظيم ، الذى قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب : في تطهير الجزيرة العربية عامة ، ونجد خاصة ، من الوان الشرك ، والبدع ، والخرافات .

وفي ختام هذا الكلام : اشكر سعادة الدكتور – مقدما على رحابه صدره ، وسعة حلمه على – ان أخطأت – ، وليعلم سعادته : اننى انما كتبت بدافع

النصح لنفسى ، ولسعادة استاذى الكريم ، والقراء الكرام ، ومشاركة في الواجب .

والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل

صاح محمد الحسن

الرياض ـ كلية الشريعة

١٣٩٩/٣/٢٩ هـ

١ ـ ابن غنام (روضة الافكار ، والافهام ـ تحقيق ناصر الدين الاسد : ٣٤٧ .

٢ ـ الدرر السنية في الاجوبة النجدية : ١ : ١٤٧ .

٣ ـ الدرر السنية في الاجوبة النجدية : ٥ : ٢٠٢ .

٤ ـ الرسائل ، والمسائل النجدية : ٢ : ١٣٦ .

٥ ـ محمد بن على الشوكانى (البدر الطالع : ٢ : ٥ .

٦ ـمحمد بن على الشوكانى (البدر الطالع : ١ : ٢٦٢ .

٧ ـ امين الريحانى (تاريخ نجد الحديث ، وملحقاته : ٣٥ .

٧ ـ امين الريحانى (تاريخ نجد الحديث ، وملحقاته : ٣٥ .

٨ ـ احمد حجر آل ابوطامى (الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ١٢٥ .

٩ ـ كارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الاسلامية : ٤ : ١٨، ١٩ .

١٠ ـ احمد حجر آل ابوطامى (الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ١٤١ .